دلالة نظرية القراءة في القرآن الكريم من طريق الفاظ القراءة فيه

ثائر سمير حسن الشمري حسن عبد الهادي الدجيلي
كلية التربية الاساسية-جامعة بابل

من الامور البديهية للمسلم ان التطور الحديث الذي طرأ على الساحة العالمية، والاسلامية لم يكن بعيداً عن القرآن الكريم المنزل من الله تعالى الذي خلق كل شيء وهو عالم به الى قيام الساعة.

وتعد نظرية القراءة من النظريات التي اهتم بها القرآن الكريم قبل عشرة قرون ونصف القرن، قبل ولادة نظرية القراءة الالمانية الاصل[١]. ولو اردنا معرفة مفهوم القرآن العام للقراءة لوجدنا انه يعطي النص بعداً دلالياً واسعاً[٢] لأنه نص شاسع الدلالة، محتو على كل مايمكن ان يكون شكلاً، وجوهراً، واذا اردنا ان نعرف سمات نظرة القران للقراءة فعلينا ان نقسم هذا المفهوم على القسمين الآتيين:

اولاً: المفهوم العام للقراءة من خلال:

١ - القراءة اساس مهم في النظرية الاسلامية لذا كانت القراءة مرافقة لاول سورة نزلت على الرسول (ص) من خلال ورود (اقرأ) مرتين في أولها، وأثنائها[٣].

٢ - ورود مصطلحات القراءة في القرآن الكريم بكثرة[٤] يعطينا بعداً دلالياً. ان قراءة القرآن تعادل قراءة جميع النصوص الانسانية عند قراءة جزء منه، لأنه يأخذ كل اتجاهات الدلالة القرائية، كما انه المقصد من كل مصطلح قراءة فيه.

ثانياً: المفهوم الخاص للقراءة من خلال:

١- القراءة الصحيحة بعيدة عن دخول جانب وسط بين القارئ، والمتلقي/ ان دخول العنصر الوسط سيمنع القراءة لأن العنصر الوسط ينبغي ان يكون الرسالة المنطلقة من القراءة وليس طرفاً اجنبياً لهذا منع القران دخول الشيطان بوصفه عنصراً خارق العزل بين الباث، والمبثوث اليه[٥]، ومنع دخول غير المؤمن بالقرآن[٦] لأنه تابع للشيطان، ومع كل ذلك كانت الاستعاذة هي الجدار الفاصل لدخول أي عنصر غريب في قراءة القرآن الكريم.

٢- القراءة نجاح/ لقد أكد القرآن الكريم أن الفائزين يوم القيامة هم الوحيدون الذين يقرؤون كتابهم الذي يمسكونه بيمينهم[٧]، وهذا يدل على ان الخاسرين ليهم كتاب لكنهم لا يقرؤونه، فدلالة القراءة هي الفخر امام ملأ الاخرة بالفوز كما يقرأ الناجح نتيجته على أهله، والناس، ولايقرؤها الراسب.

٣- القراءة رحمة، واكتشاف/ لقد حث الله النزر القليل على قراءة القرآن الكريم، وقد أكد المفسرون ان ذلك مصدره التيسير على المصلي في قراءة السور القصار لأن الزمن في انتاجها اقل[٨]، لكن الواقع يفرض علينا سبباً آخر للاقتصاد في قراءة القرآن هو ان هذا الاقتصاد يؤدي الى تأمل، وتأويل، ومن ثم اكتشاف دلالات مهمة من القرآن ما كانت لتكتشف مع الاطناب في قراءته وذلك لأن التيسير في قراءة القرآن قد يكون بقراءة سورة قصيرة، وقد يكون بقراءة آيات من سورة، أو آية، أو بعض من آية.

٤- القراءة ينبغي ان تكون بذكر الله/ لأن هذا الذكر يولد نفعاً عظيماً[٩]، وعلماً غير محدود [١٠] لأن القيم الالهية ستكون مستقرة في هذه القراءة فتمنع أي نقص فيها.

٥- دلالات اخرى للقراءة في القرآن، وهي:

أ- يجب حضور المتلقي شكلاً، وجوهراً عند القراءة[١١].

ب- القراءة علم، وليست عملية ميكانيكية[١٢].

ج-القراءة يجب ان تكون ذات عمق نفسي[١٣].

د -ارتباط الايمان بوجود اسلوبية القراءة النابعة من اصول المتلقي[١٤].

هـ-اتباع منهج محدد في القراءة[١٥].

و -القراءة يجب ان تكون بينة، وليست مبهمة[١٦].

ز-القراءة الالهية تلزم الاتباع[١٧].

ح-القراءة ليست نظرية فقط، وانما تطبيق[١٨].

ط القراءة الالهية تمنع النسيان[١٩].

وعند تأملنا سور القرآن الكريم التي ورد فيها مصطلح (القراءة، ومشتقاته) نجد أن السواد الاعظم شغلته (سورة الاسراء) [٢٠]، تلتها كل من (سورة المزمل) [٢١]، و (سورة العلق) [٢٢].

والقاسم المشترك الذي جمع هذه السور هو انها سور وجهت الى الرسول (ص) مع العلم ان الرسول (ص) كان (اصلاً) لايقرأ أبداً لكن معجزة القران ان يكون رجل الاسلام الاول أمياً قبل الاسلام لكنه القارئ الاول، والمتلقي الاول لأعظم نص (القرآن الكريم) بعد الاسلام ايضاً.

ولو تابعنا السور السابقة التي حوت أعلى رصيد لمصطلح (القراءة ومشتقاته) لوجدنا ان (سورة الاسراء) قد تمتعت بقضية مهمة في الاسلام هي قضية اسراء الرسول (ص) من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، ومن ثم عروجه الى السماء السابعة، ورحلته مع جبريل(ع) الى الجنة، والنار، ووصوله قاب قوسين أو ادنى من الله سبحانه وتعالى، ورجوعه الى فراشه وقد ظل الفراش محافظاً على دفئه منذ ان غادره (ص)[٢٣]، وهنا تأتي القراءة بدلالة المعجزة المرئية واقعاً بعد ان كانت غير متخيلة اساساً، وتأتي كذلك بمعنى السرعة الخاطفة على الارض، وفي السماء دون وجود وسائط نقل خارقة، مع العلم ان وجودها في العصر الحديث الا انها لاتعني شيئاً بالنسبة لتلك السرعة، وفي كل ذلك تشكل القراءة دلالة العلم الالهي الخالد.

اما (سورة العلق) فهي اول ما نزل من القرآن على الرسول (ص) وقد كانت القراءة هنا معجزة لأنها تحويل للرسول (ص) من شخص غير قارئ الى شخص قارئ من الدرجة الاولى، كما ان ارتباط القراءة بفعل الامر (قل) في هذه السورة التي هي السورة البكر في القرآن الكريم دلالة على ان القراءة هي فرض من الله تعالى واجب الاداء حاله حال الفرائض الاخرى لاسيما ان اولى سمات العلم الذي سبق عصر الاسلام، والذي ناهضه الاسلام هو ضعف القراءة.

واما (سورة المزمل) فتعني أنّ القراءة الصحيحة هي الاقتصاد فيها، وليس الاسراف، كما انها ليست التقتير، لأن الاسراف يؤدي الى غير التركيز، ويحول القراءة الى ملل من لدن الباث، والمبثوث اليه، والتقتير يعني (في الاكثر) بتراً للمعنى، اما الاقتصاد فأنه المعنى، وعدم الملل، كما انه يعني الاكتشاف، ومن ثم العلوم لا العلم الواحد.

هوامش البحث

١- لقد قدمت الكثير من الدراسات حول اصول هذه النظرية اهمها: نظرية الاستقبال مقدمة نقدية، ونظريات القراءة (من البنيوية الى جمالية التلقي)، ونظرية التلقي، والتلقي والتأويل مدخل نظري، وسلطة النص، ومن الدراسات التي اهتمت بنظرية القراءة في القرآن الكريم هي فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عن محي الدين بن العربي، التركيب والتأويل: نظرة في استغلال النحو في التفسير، وقضية المعنى في القرآن الكريم دراسة في التأويل، ودلالة الفاظ القرآن بين القطع والظن.

٢- هذه القضية تلتمس في قراءة أي سورة، او جزء من سورة في القرآن الكريم.

٣- تنظر: العلق/ ١،٣.

٤- تنظر، البقرة/١٨٥، النساء/٨٢، المائدة/١٠١، الانعام/١٩، الاعراف/٢٠٤، التوبة،١١١، يونس/١٥ و٣٧و ٦١، يوسف/٢،٣، الرعد/٣١، الحجر/١ و ٨٧و ٩١، النحل/٩٨، الاسراء/٩ و ٤١ و٤٥ و٤٦ و٦٠ و٧٨ (مرتين) و٨٢ و٨٨ و٨٩، الكهف/٥٤، طه/٢ و١١٣ و ١١٤، الفرقان/٣٠، ٣٢، النحل/ ١ و٦ و٧٦ و٩٢، القصص/٨٥ ، الروم/٥٨، سبأ/٣٧، يس/٢ و ٦٩، ص/١، الزمر/٢٧ و٢٨، فصلت/٣ و٢٦و ٤٤، الشورى/٧، الزخرف/٣ و ٣١، الاحقاف/٢٩، محمد/٢٤، ق/١ و٤٥، القمر/١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠، الرحمن/٢، الواقعة/٧٧، الحشر/٢١، الجن/١، المزمل/٤ و٢٠، القيامة/١٧ و١٨، الانسان/٢٣، الانشقاق/٢١، البروج/٢١.

٥- تنظر: النحل/٩٨.

٦- تنظر: الاسراء/ ٤٥.

٧- تنظر: الاسراء/٧١، الحاقة/١٩.

٨- ينظر: أي تفسير قديم او حديث في تفسير الاية الاولى والثالثة من سورة المزمل.

٩- تنظر: العلق/١.

١٠- تنظر: نفسها/٣.

١١-تنظر: الاعراف/ ٢٠٤.

١٢-تنظر: يونس/٩٤.

١٣- تنظر: الاسراء/١٤.

١٤-تنظر: نفسها/٩٣.

١٥-تنظر: نفسها/١٠٦.

١٦-تنظر: الشعراء/١٩٩.

١٧-تنظر: القيامة/١٨.

١٨-تنظر: الانشقاق/٢١.

١٩-تنظر: الاعلى/ ٦.

٢٠-تنظر: الاسراء/ ١٤ و٤٥ و٧١ و٩٣ و١٠٦.

٢١-تنظر: المزمل /٢٠ (مرتين).

٢٢-تنظر: العلق/١ ، ٣.

٢٣-هذه الحادثة ترويها كل الكتب التي تحدثت عن الاسراء والمعراج.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- التركيب والتأويل: نظرة في استغلال النحو في التفسير، د. حمد ولد باب، المجلة العربية الثقافية-تونس، السنة الثامنة عشرة، العدد السابع والثلاثون، جمادي الاولى ١٤٢٠هـ-سبتمبر ١٩٩٩م.
- التلقي والتأويل مدخل نظري، محمد بن عباد عياد، مجلة الاقلام، العراق، السنة الثالثة والثلاثون، العدد ٤، ١٩٩٨.
- دلالة الفاظ القرآن بين القطع والظن، د.خليل رجب حمدان الكبيسي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، العدد السادس، السنة الرابعة، رمضان ١٤٢٠هـ-كانون الاول ١٩٩٩م.
- سلطة النص، عبد الهادي عبد الرحمن، مينا للنشر، الطبعة الاولى، ١٩٩٨م.
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ.
- نظرية الاستقبال مقدمة نقدية، روبرت سي هول، ترجمة رعد عبد الجليل، دار الحوار، سورية، الطبعة الاولى، ١٩٩٢.
- نظرية التلقي، فرانك شوير فيجن، ترجمه وقدم له وعلق عليه د.محمد خير البقاعي، مجلة الاداب الاجنبية، اتحاد الادباء والكتاب العرب، سورية، العدد ٨٨، السنة الثانية عشرة، خريف ١٩٩٦.
- نظريات القراءة (من البنيوية الى جمالية التلقي)، مجموعة من النقاد الاجانب، ترجمة د. عبد الرحمن بو علي، دار نشر الجسور وجدة، الطبعة الاولى، ١٩٩٥.